

العنوان:	الرؤية الفنية في كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي
المؤلف الرئيسي:	الحوامة، بسام عبدالوهاب
مؤلفين آخرين:	عبيدالله، لطفي أحمد بابكر(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2018
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 95
رقم MD:	1344072
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية التربية
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد، ت. 456 هـ، الرؤية الفنية، الأدب الأندلسي، الأسلوب القصصي، الإبداع النثري
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/1344072">http://search.mandumah.com/Record/1344072</a>

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

الحوامدة، بسام عبدالوهاب، و عبيدالله، لطفي أحمد بابكر. (2018). الرؤية الفنية في كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/1344072>

إسلوب MLA

الحوامدة، بسام عبدالوهاب، و لطفي أحمد بابكر عبيدالله. "الرؤية الفنية في كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي" رسالة ماجستير. جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، 2018. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/1344072>

## الفصل الثالث :

### السرد الشعري عند ابن حزم

## المبحث الأول : السرد لغة واصطلاحاً

### أولاً : مفهوم السرد لغة واصطلاحاً :

**لغة :** هو " مقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعاً . وسرد الحديث يسرده سرداً إذا تابعه . وفلان يسرد الحديث سرداً إذا كان جيد السياق له " (١) وقد وردت لفظة السرد في القرآن الكريم في قوله تعالى : " ولقد آتينا داود منا فضلاً، يا جبال أوبي معه والطير سابغات وقدر في السرد " (سورة سبأ ، آية : ١٠ – ١١) أي قدر في نسج الدروع ، وما يربط بينها من مسامير ، بحيث تتناسب حلقاتها (٢) فجاءت كلمة السرد في الآية الكريمة بمعنى الاتساق والإتقان في نسج الحلق المتتابعة .

بهذا المعنى الذي يدور حول التتابع والترابط عرّف أبو بكر الصولي كلمة السرد في قوله " سرد الكتاب يسرده سرداً شبيهة بقوله درسه درسا ، ودرع مسرودة ، بعضها يتلو بعضها حتى تتم " (٣)

ويتضح هذا الاستخدام أيضا في قول المقرئ معلقا على إحدى الروايات " ذكر ذلك ابن خلدون في تاريخه الكبير ، وسرد نصها ، وهي من الغرائب " (٤)

**السرد اصطلاحاً :** انطلاقاً من ذلك المعنى اللغوي للسرد الذي يدور حول ترابط الحديث وتتابعه ، تشكل السرد الفني ، الذي يقصد به " رواية القصص والحوادث وما إلى ذلك من الوقائع والأخبار .. رواية أدبية ذات تقنيات وجماليات خاصة ، تؤمن إعجاب المستمع بها ، وانشداده إليها ، وتنتج الافتنان والسر الذي تشده به " (٥)

فالنص السردى أيا كان نوعه يقوم على تتابع أجزائه ومكوناته السردية ، وترابطها في تناسق فني ، يشد المتلقي . ومن هنا استعمل النقاد المحدثون مفهوم السرد "

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، ٢٣٣/٦ -

(٢) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، لأبي الليث السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) ت : علي معوض وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ٦٧/٣

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: أدب الكتاب ، ، أدب الكتاب، تصحيح وتعليق: محمد بهجة الأثري، مراجعة محمود شكري الألوسي، دار الباز للطباعة والنشر ، ج١، ص١٣٨

(٤) المقرئ ، أحمد نفح الطيب من عصف الأندلس الرطب (ت ١٠٤١ هـ ) ، ت : د.إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٤ م ٣٢٣/٢ .

(٥) صحراوي، إبراهيم : السرد العربي القديم (الأنواع والوظائف والبنيات ) ، إبراهيم صحراوي ، منشورات الاختلاف ( الجزائر) والدار العربية للعلوم (بيروت ) ، ١٤٢٩ هـ- ٢٠٠٨ م، ص: ٣٢ .

ليكون المفهوم الجامع لكل التجليات المتصلة بالعمل الروائي أو الحكائي ، وتأتي أهميته باعتباره مصطلحا وجنسا يستدعي أن تكون له أنواع ، كما يستدعي أن يكون له تاريخ "(١)

فأصبح هذا العلم من أهم حقول الدراسة النقدية الأدبية ، وقصد به " دراسة القص ، واستنباط الأسس التي يقوم عليها ، وما يتعلق بذلك من نظم تحكم إنتاجه وتلقيه .

وخلاصة القول فالسرد الأدبي نتيجة لكل ما سبق هو عبارة عن أداة توصيل ونقل خبرا ما ، ولكن هذا الخبر يكون بأسلوب قصصي وأدبي وهذا النوع من السرد هو الذي سيكون موضوع البحث هنا .

### ثانيا: الشعرية والسرد:

هناك علاقة بين الشعرية والسرد ، وهي علاقة قديمة ، إذ أن هناك انتاجات أدبية إبداعية زاوجت بين الشعر والسرد في عمل أدبي واحد - ورسالة الطوق من هذا النوع - ولعل الدليل الأكثر وضوحا هو أن " الممارسة الإبداعية منذ القدم أثبتت التفاعل بين الشعر و السرد ذلك أن الملاحم نظمت شعرا، فهذا يمثل خرق الشعر للسرد أما فيما يخص العصر الحديث نجد هناك تعارض بين الشعر و السرد في القرن التاسع عشر، فقد نشأت أجناس أدبية تأخذ من الشعر بعض خصائصه و من النثر بعض مميزاته مثل: (قصيدة النثر أو القصة الشعرية )، ونلخص من هذا أنه رغم الحدود الصارمة، التي وضعتها الإنشائية الغربية بين الأجناس إلا أن الممارسة الإبداعية استطاعت خرق الحدود.

فاجتمع الشعر و السرد في خطاب واحد و كذلك نجد النقاد العرب، الذين وضعوا خطين متوازيين لا يلتقيان بين الشعر والنثر، قد أسهموا في تشويش عملية تلقي هذا الاتجاه (شعرية النثر)، وأصبحت السرديات مولودا علميا تبنته الشعرية وصار طلبها فأصبحت لغة الشعر في الكتابة السردية والنثرية عموما"(٢)

ومن هذا المنطلق يتضح ارتباط الشعرية بالسرد ، والمهم من كل ذلك ما يسلط عليه الضوء في رسالة طوق الحمامة .

(١) بوخاتم ، مولاى مصطلحات النقد العربى السيمائى (الإشكالية والأصول والامتداد ) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٥م، ص: ٢٥٢  
(٢) قطو، سلوى : شعرية السرد فى رواية الرماد الذى غسل الماء" لعز الدين جلاوجي ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير فى الآداب واللغة العربية ، إشراف :أسيا جراوي ، ٢٠١٥م/٢٠١٦م :ص١٩

**المبحث الثاني : شعرية السرد في رسالة طوق الحمامة :**

**شعرية السرد في رسالة طوق الحمامة :**

تبرز شعرية السرد في طوق الحمامة من خلال استخدام أساليب السرد المتعددة ، فمن تلك الأساليب التنويع في استخدام الضمائر والوصف والتضمين والتناص والحوار وغيرها من الأساليب المتنوعة .

**أولاً: الوصف :** قام ابن حزم بوصف الأحداث والشخصيات والملاحم النفسية الداخلية والخارجية للشخصيات التي وردت في رسالة الطوق ، وكان دقيقاً جداً في وصفه ، حتى أنه كان يميل إلى الإطناب في الوصف .

#### **١- وصف الشخصيات :**

لقد قام ابن حزم في رسالة طوق الحمامة بوصف الشخصيات من الخارج ومن الداخل ، حيث نراه عارف بتفاصيل الشخصيات ، فهو يصف الشخصيات بدقة ، مما يجعل المتلقي يتابع هذه الشخصية ويراقبها ، ويعيش معها ، كأنه يتابع مشاهد حية أمامه ، فمثلاً في وصفه لأحد الشخصيات ، وكان الوصف لملاحمته الخارجية والداخلية ، و كان ابن حزم يرسم الشخصية رسماً ، يقول : " وإني لأخبر عني أي ألفت في أيام

صباي ألفة المحبة جارية نشأت في دارنا وكانت في ذلك الوقت بنت ستة عشر عاماً؛ وكانت غاية في حسن وجهها وعقلها وعفافها وطهارتها وخفرتها ودمائها، عديمة الهزل، منيعة البذل، بديعة البشر، مسبلة الستر، فقيدة الدام، قليلة الكلام، مغضوضة البصر، شديدة الحذر، نقية من العيوب، دائمة القطوب، كثيرة الوقار، مستلذة النفار، لا توجه الأراجي نحوها، ولا تقف المطامع عليها، ولا معرس للأمل لديها، فوجهها جالب كل القلوب، وحالها طارد من أمها. تزدان في المنع والبخل، ما لا يزدان غيرها بالسماحة والبذل، موقوفة على الجد في أمرها غير راغبة في اللهو، على أنها كانت تحسن العود إحساناً جيداً، فجنحت إليها وأحببتها حباً مفرطاً شديداً، فسعيت عامين أو نحوهما أن تجيبني بكلمة وأسمع من فيها لفظة، غير ما يقع في الحديث الظاهر إلى كل سامع، بأبلغ السعي فما وصلت من ذلك إلى شيء البتة " (١)

(١) ابن حزم : الطوق ص : ١٠٧

لقد أطنب ابن حزم في وصف هذه الفتاة ، و كأنه يرسم صورة لها ، حتى أن المتلقي أصبح يتخيل صورتها أمامه ، أو يتمنى مشاهدة تلك الفتاة لكثرة الوصف الدقيق لها ، كذلك كانت لغة الوصف هنا مع الترادف والجناس تحقق جذبا أكثر للمتلقي هذا من الناحية الخارجية ، أما من الناحية لملاح هذه الشخصية الداخلية ، فهي خجولة ومهذبة وعفيفة يتمنى كل إنسان أن يرتبط بها ، فالوصف هنا جمع بين الشكل الخارجي والداخلي ، كان بلغة رقيقة وجميلة تكاد تكون شعرا .

يقول أيضا : " أما خبر صاحبنا أبي عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن الحسين التميمي ، المعروف بابن الطنبلي : فإنه كان رحمه الله كأنه قد خلق الحسن على مثاله ، أو خلق من نفس كل من رآه ، لم أشهد له مثلا حسنا وجمالا وخلقا ، وعفة وتصاونا و أدبا ، وفهما وحلما و وفاء ، وسوددا وطهارة ، وكرما ، ودمائة وحلاوة و لباقة ن و إغضاء و <sup>(١)</sup>

عقلا ومروءة ودينا ودراية وحفظا للقرآن والحديث والنحو واللغة، وكان شاعرا مقلدا حسن الخط وبليغا مفننا، مع حظ صالح من الكلام والجدل، وكان من غلمان أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي أستاذا في هذا الشأن، وكان بينه وبين أبيه اثنا عشر عاما في السن، وكنت أنا وهو متقاربين في الأسنان، وكنا أليفين لا نفترق، وخذنين لا يجري الماء بيننا إلا صفاء، إلى أن ألفت الفتنة جرانها وأرخت عزاليها، ووقع انتهاب جند البربر منازلنا في الجانب الغربي " <sup>(٢)</sup>

في هذا الوصف الدقيق يلح المتلقي خلف هذه الشخصية ، شخصيات أخرى من المجتمع ، فهو ينقل أوضاع المجتمع في عصر ابن الطنبلي ، ويصف ما كان سائدا في تلك الفترة من علوم واهتمامات فنية مثل الخط الذي أخذ شأنا عظيما في الأندلس ، وعلم الكلام الذي انتشر في الأندلس وغيرها من الاهتمامات ، وكذلك هنالك إدراج للتاريخ داخل هذا الوصف ، حيث يلح لدخول البربر مدينة قرطبة وما فعلوه بها ، لا يجد القارئ من خلال هذا الوصف نفسه إلا داخل هذا المشهد وكأنه يعيش في معه لقد قام ابن حزم بوصف هذه الشخصية بأسلوب جميل ، يكاد يكون شعرا .

في هذا الوصف الدقيق يلح المتلقي خلف هذه الشخصية ، شخصيات أخرى من المجتمع ، فهو ينقل أوضاع المجتمع في عصر ابن الطنبلي ، ويصف ما كان سائدا

(١) ابن حزم : الطوق ص : ١١٤-١١٥

(٢) ابن حزم : الطوق ص : ١١٥

في تلك الفترة من علوم واهتمامات فنية مثل الخط الذي أخذ شأنًا عظيمًا في الأندلس ، وعلم الكلام الذي انتشر في الأندلس وغيرها من الاهتمامات ، وكذلك هنالك إدراج للتاريخ داخل هذا الوصف ، حيث يلمح لدخول البربر مدينة قرطبة وما فعلوه بها ، لا يجد القارئ من خلال هذا الوصف نفسه إلا داخل هذا المشهد وكأنه يعيش في معه لقد قام ابن حزم بوصف هذه الشخصية بأسلوب جميل ، يكاد يكون شعرا .

ومن ذلك وصف لشخصية سعيد بن منذر بن سعيد ، صاحب الصلاة في جامع قرطبة ، حيث قام بوصف ملامحه الخارجية ولامحه الداخلية حيث يقول : " وأشنع من هذا أنه كانت لسعيد بن منذر بن سعيد صاحب الصلاة في جامع قرطبة أيام حكم المستنصر بالله رحمه الله جارية يحبها حباً شديداً، فعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها، فقالت له ساخرة به؛ وكان عظيم اللحية: إن لحيتك أستبشع عظمها، فإن حذفت منها كان ما ترغبه. فأعمل الجلمين فيها حتى لطفت، ثم دعا بجماعة شهود وأشهدهم على عتقها، ثم خطبها إلى نفسه فلم ترض به، وكان في جملة من حضر أخوه حكم بن منذر فقال لمن حضر: اعرض عليها أني أخطبها أنا، ففعل فأجابته إليه، فتزوجها في ذلك المجلس بعينه ورضي بهذا العار الفادح على ورعه ونسكه واجتهاده." (١)

هنا يرى المتلقي نفسية سعيد كم هي خاضعة ومنقادة ، حيث يرضى بتخفيف لحيته مقابل أن تتزوجه ، فهو يقبل بأي شيء مقابل أن تكون له زوجة ، فهنا وصف لحالة الحب أكثر من وصف الشخص نفسه ، فالحب هنا يفعل ما يريد بالمحب .

## ٢- وصف أحوال المحبين:

لقد وصف ابن حزم أحوال المحبين بكل دقة ، وكان هذا الوصف نابع مما شاهده بنفسه أو ما نقله عن ثقات ، ومع كل وصف كان ابن حزم يعلق على تلك الحالة التي يصفها ، وهنا تدخل من قبل السارد في الحوار الوصفي ، فهناك شخصيات معقدة النفسية ، فتري الشخص العبوس القطوب يصبح طلقا مبتسما ، والجبان يصبح شجاعا ، ففي باب علامات الحب يقول ابن حزم : " ومنها أن يجود المرء ببذل كل

(١) ابن حزم : الطوق ص : ٤٤-٤٥



ما كان يقدر عليه مما كان يمتنع به قبل ذلك، كأنه هو الموهوب له والمسعي في حظه، كل ذلك ليبيدي<sup>(١)</sup>

محاسنه ويرغب في نفسه؛ فكم بخيل جاد، وقطوب تطلق، وجبان تشجع، وغليظ الطبع تطرف، وجاهل تأدب، وتفل تزين، وفقير تجمل، وذو سن تفتى، وناسك تفتك، ومصون تهتك . وهذه العلامات تكون قبل استعار نار الحب وتأجج حريقه، وتوقد شعله واستطارة لهبه. فأما إذا تمكن وأخذ مأخذ فحينئذ ترى الحديث سراراً، والإعراض عن كل من حضر إلا عن المحبوب جهاراً.<sup>(٢)</sup>

فهنا يصف أحوال المحبين ونفسياتهم بكل دقة ، وكل ذلك نابع من مشاهداته ، أو مما علمه ممن يثق بهم ، وكما سبق الإشارة له من أن ابن حزم كان يتدخل في الحوار الوصفي ، وذلك من باب التعليق على الحالة ، وإيجاد الأعذار لها .

من خلال هذا الوصف المليء بالتضاد ، يرى الباحث هنا ، أن السرد هنا جاء جاذباً ، لأن ابن حزم ذكر أحوالاً عجيبة ، ولأن الإنسان بطبيعته يحب الأمور العجيبة ، ويحاول البحث عنها ، فعندما يسمع بجاهل تأدب يقف عند هذه الحال، ويتخيل هذا الموقف ، وتعلق في ذهنه أكثر من أي حال عادية ، لأنه من العجيب أن ترى جاهلاً أصبح عالماً ، وكذلك الأمر بالنسبة للتفل ولذي السن والناسك وغيره ، فكل هذه الأحوال والنفسيات عجيبة ، من شأنها أن تجذب القارئ .

والباحث هنا يوافق ما ذهبت إليه الباحثة (دانا عبد اللطيف) حين تحدثت عن الوصف لأحوال المحبين ، حيث ذكرت حال المحب بقولها : " ويصف ابن حزم أيضاً حال المحب الذي لقي جفاء من محبوبه فيقول : " ويعرض للمحب الاستكانة لجفاء المحبوب عليه... ومن أعراضه الجزع الشديد ، والحمرة المقطعة ، تغلب عندما يرى من أعراض محبوب عنه ونفاره منه ، وآية ذلك الزفير وقلة الحركة والتأوه ، وتنفس الصعداء بين حالا من أحوال المحبين ، وهي أعراض المحبوب عن المحب وجفائه،<sup>(٣)</sup>

فوصف ميل المحب للاستكانة ، فاستخدم ابن حزم كلمة (الاستكانة) التي عنت ميله للسكون ، كما بين الأعراض الأخرى كحمرة الوجه ، والزفير والتأوه وهي

(١) ابن حزم : الطوق ص : ١٤

(٢) ابن حزم : الطوق ص : ١٤

(٣) حمودة، دانا عبد اللطيف : شعرية النثر. طوق الحمامة أنموذجاً ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية ، إشراف : محمد خليل الخلايلة ، ٢٠١١م/٢٠١٢م : ص ٨٦

أعراض ترى بالعين ويمكن رصدها وملاحظتها ، فابن حزم وصف ما رآه رؤية العين وحاول نقل هذه الحالة بالوصف المطول ؛ ليشرك المتلقي بالسرد .<sup>(١)</sup> لكن يضيف الباحث على ما سبق أن هناك بعد (تراجيدي) لأن التراجيديا تؤثر بالنفس أكثر من الكوميديا ، وتشد المتلقي أكثر ، ووقعها في النفس أبلغ ، فحال المحب الحزينة تؤثر في نفس المتلقي أكثر من لو كانت حاله سعيدة ومرتاحة ، والدليل على ذلك أن أغلب روايات وقصص الحب تكون مليئة بالحزن والدموع ، ولعل هذا الإكثار من القصص الحزينة ليس إلا لكونها جاذبة للمتلقي أكثر من القصص ذات النهايات السعيدة .

### استعمال ضمير المتكلم في السرد :

لقد كانت الرسالة جملة من التعليقات والأخبار والقصص القصيرة ، وقد كان السرد فيها قائما على ضمير المتكلم ، أي أن ابن حزم هو المتكلم دائما في معظم أخباره ، وهو المشاهد ، وهو المطلع على كل ما يجري ، وهو العارف بنفوس أبطال قصصه ، ومن المرجح أن ابن حزم تعمد ذلك الاستخدام ، كونه رجل دين و كونه لا يحب الكذب ، وقد أشار ابن حزم في بداية رسالة الطوق أنه لا يقبل روايات السمار ولا الأعراب ، فهو يتحرى الصدق والحقيقة ، وهذا بدوره يجعل المتلقي أكثر انجذابا لما يقوله ابن حزم ، لأن المتلقي يعرف أنه يقرأ ويتلقى أحداثا حقيقية ، ومعلومات مفيدة ، ليست مجرد تسلية فقط ، فدائما ترى ( عني أخبرك ، شاهدته ....) من أمثلة ذلك قوله : " وعني أحدث، خبر...."

أنه كان بيني وبين رجل من الأشراف ود وكيد وخطاب كثير، وما تراءينا قط، ثم منح الله لي لقاءه، فما مرت إلا أيام قلائل حتى وقعت لنا منافرة عظيمة ووحشة شديدة متصلة إلى الآن..<sup>(٢)</sup>

وكذلك قوله : " إني لأعلم فتى من أبناء الكتاب ورأته امرأة سرية النشأة، عالية المنصف، غليظة الحجاب، وهو مجتاز، ورأته في موضع تطلع منه كان في منزلها، فعلقته وعلقها، وتهاديا المراسلة زماناً على أدق من حد السيف، ولولا أنني لم أقصد

(١) حمودة، دانا عبد اللطيف : شعرية النثر. طوق الحمامة أنموذجا ص ٨٧

(٢) ابن حزم : الطوق ، ص : ٢٢

في رسالتي هذه كشف الحيل وذكر المكائد لأوردت مما صح عندي أشياء تحير اللبيب وتدهش العاقل، أسبل الله علينا ستره وعلى جميع المسلمين بمنه، وكفانا." (١)

فاستخدام ضمير المتكلم الذي يعني أن ابن حزم يسرد بنفسه أحداثاً رآها، يعزز الثقة في نفس القارئ، ويطمئن أكثر لصحة هذه المعلومات التي تفيده في الحياة؛ كونها جاءت من إمام كبير مثل ابن حزم.

### استخدام التناص والتضمين الشعري :

قبل والولوج في استخدام التناص عند ابن حزم في رسالة الطوق، لابد من تعريف التناص لغة واصطلاحاً.

#### التناص لغة:

جاء في لسان العرب: "نصص المتاع جعل بعضه فوق بعض. ونص الحديث إلى صاحبه: رفعه سنده إلى من أحدثه ونصصت الرجل: استفخصي مسألته حتى استخرج ما عنده" (٢)

نلاحظ من خلال هذا المفهوم اللغوي، أن التناص يدل على الرفع، والإظهار والمفاعلة في الشيء، مع المشاركة والدلالة الواضحة والاستقصاء.

#### التناص اصطلاحاً:

هو تعالق النصوص بحيث يستحضر نص غائب في نص حاضر، وهو يعتبر من بين المصطلحات التي حظيت باهتمام الدارسين حيث ترى "جوليا كريستيفا" بأن النص عبارة "عن فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت بتقنيات مختلفة، أي أنه تعالق النصوص: وتقاطعها لقد عرف مصطلح التناص بالعديد من التسميات: كالمناص، والتفاعل النصي والتناصية...، ولكن المصطلح الأكثر شيوعاً هو مصطلح التناص." (٣)

استخدم ابن حزم التناص في رسالته من جميع الثقافات، فهناك تناص قرآني وهناك تناص شعري، وهناك تناص فلسفي وغيرها من أنواع التناص.

(١) ابن حزم: الطوق، ص: ٢٥

(٢) ابن منظور: لسان العرب: مادة ن ص ص

(٣) قطو، سلوى: شعرية السرد في رواية الرماد الذي غسل الماء "لعز الدين جلاوي"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية، إشراف: آسيا جراوي، ٢٠١٥م/٢٠١٦م: ص ٥

## أولا : التناص القرآني :

كان حضور النص الديني (القرآن الكريم) جليا فاعلا في أكثر نصوصه الشعرية سواء أكان هذا الحضور على مستوى التناص بين النص القرآني وبين نصوصه الشعرية أم على مستوى استلهام النص القرآني و الكتابة الأدبية ( شعرا ونثرا) وتظهر آثار الثقافة الدينية في شعر ابن حزم الأندلسي في جملة من المظاهر متمثلة بالثقافة القرآنية المتنوعة، حيث اتكأ عليها الشاعر في بناء نصه الأدبي (الشعري والنثري ) للوقوف على أثر القرآن الكريم في شعر ابن حزم، فإننا نجد إشارات أو مضامين نلتمس من خلالها تأثر الشاعر بالثقافة القرآنية التي انعكست على شعره.<sup>(١)</sup>

من أمثلة التناص القرآني قوله تعالى " هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها " (سورة الأعراف ، الآية ١٨٩) في هذا التناص يريد ابن حزم تعزيز رأيه بأهمية موضوع الرسالة ، فالإنسان بحاجة للحب ، وهو بحاجة للمرأة ، لذلك يدعم رأيه بهذا التناص ، وهنا تمكن شعرية هذا التناص إذ يستطيع إقناع المتلقي بأهمية الموضوع ، إضافة إلى ما تحتويه النصوص القرآنية من لغة شاعرة ، تمد النص بقدرة إيحائية مؤثرة في ذهن المتلقي .

وقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون " (سورة الصف آية ٢-٣ ) من خلال هذا التناص يدرك المتلقي أهمية الصدق ، الذي أكد عليه ابن حزم ، ويشارك ابن حزم في رأيه ، فللقرآن وقع على المتلقي أكثر من غيره .

وقوله عز وجل : "يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم" (الحجرات ١٢)

## ثانيا : التناص مع الحديث :

يعد الحديث المصدر الثقافي الثاني الذي استقى منه ابن حزم معانيه وألفاظه فهو يمثل

أعلى مرتبة في البلاغة العربية فكانت لبلاغة الحديث الشريف وأسلوبه المعجز وفصاحته العربية الأصيلة الأثر الكبير في أعمال الأدباء والشعراء ، فقد طغى على

(١) فوز، لوي صيهود: التعالق النصي (التناص) في شعر ابن حزم الأندلسي ، مجلة كلية التربية الأساسية ، العدد الثاني والسبعون ٢٠١١ ص : ٩١

نصوصهم الشعرية أحاديث السنة النبوية بوصفها رافدا مهما من المعطيات الثقافية الدينية في البيئة الأندلسية .

كان للحديث النبوي الشريف في ثقافة ابن حزم الشعرية الأثر الواضح في نتاجه الشعري، فهو أيضاً من رواة الحديث "فقد جمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات كثيراً. وسمع سماعاً جمّاً، وأول سماعه من ابن الجصور قبل الأربعمائة" (١)

أما الأحاديث النبوية الواردة في الرسالة ، والتي شكلت قسطاً من الخطاب الديني ، فمنها قول النبي صلى الله عليه وسلم "الأرواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف ، وما تنكر منها اختلف " (البخاري / الصحيح ج ٤ ص ١٦٢) هنا يلفت نظر المتلقي إلى أن الحب في الأصل روحاني قبل أن يكون جسدياً والحديث الشريف يقوي المعنى ويرسخه عند المتلقي .

تدخل أقوال السلف مع الحديث النبوي لأن السلف الصالح استمدوا أقوالهم وأفعالهم من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة ، فقد أكثر ابن حزم من روايتها بلفظها تارة وبمعناها تارة أخرى، ونذكر على سبيل المثال ما يلي : من أقوال الصالحين من السلف المرضي عنهم " من لم يحسن يتقنى " وفي بعض الأثر : "أريحوا النفوس فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد" (٢) ومما يندرج تحت الأثر الديني تلك الاجتهادات والآراء الفقهية التي استحضرها الكاتب في رسالته ، لا سيما في باب (قبح المعصية) عندما أخذ في سرد أقوال العلماء في عقوبة الزاني .

### ثالثاً: التناص الفلسفي:

يعود التناص الفلسفي إلى تقارب فلسفة ابن حزم بفلسفة أفلاطون ، ويتجلى ذلك في مثل قوله عن الحب : " والذي أذهب إليه أنه اتصال بين النفوس المقسومة في هذه الخليفة في أصل عنصرها الرفيع" (٣) وقوله : "ما يعرض في العشق، فصح بذلك أنه استحسان روحاني وامتزاج نفساني."

من ذلك ما قاله في مسألة التمازج الفلسفية ما يلي : " وقد علمنا أن سر التمازج والتباين في المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال ، والشكل دأباً يستدعي شكله ،

(١) فوز، لوي صيهود: التعالق النصي (التناص) في شعر ابن حزم الأندلسي ، مجلة كلية التربية الأساسية ، العدد الثاني والسبعون ٢٠١١ ص : ٩٣  
(٢) ابن حزم : الطوق ، ص: ٤  
(٣) ابن حزم : الطوق ، ص: ٧

والمثل إلى مثله ساكن ... والميل والتوق والانحراف والشهوة والنفار كل ذلك معلوم بالفطرة في أحوال تصرف الإنسان فيسكن إليها" (١)

هذا التناص يدل على ثقافة ابن حزم الواسعة التي نهلت من كل علم بطرف ، وكذلك يجذب المتلقي من كل الأجناس والديانات ، فهو يقنع بهذا المسلم وغير المسلم ، لأن الحجة والدليل الفلسفي لا علاقة لها بدين وعقيدة .

#### رابعاً: التناص الشعري :

صحيح أن الحديث عن التناص هو في مجال النثر عند ابن حزم ، إلا أنه من الواجب ألا يبتعد الباحث عن الشعر لأنه مكمل لنثره في الرسالة ، فابن حزم هنا شاعر ونائر ؛ أي في كتاب طوق الحمامة ، فابن حزم كما كان يعتمد في تناصه على الحديث والقرآن في النثر والأخبار ، فإنه اعتمد كذلك على الشعر في شعره داخل الرسالة ، فقد استخدم ابن حزم التناص في أشعاره في طوق الحمامة في مواقع عديدة ، من ذلك ما قاله ابن حزم في باب الهجر ، حيث قام بتضمين كل بيت بشطر من معلقة طرفة بن العبد ، وقد أشار ابن حزم إلى ذلك بقوله: "ولقد عرض لي في الصبا هجر مع بعض من كنت آلف، على هذه الصفة، وهو لا يلبث أن يضمحل ثم يعود؛ فلما كثر ذلك قلت على سبيل المزاح شعراً بديهياً ختمت كل بيت منه بقسيم من أول قصيدة طرفة بن العبد المعلقة، وهي التي قرأناها مشروحة على أبي سعيد الفتى الجعفري عن أبي بكر المقرئ عن أبي جعفر النحاس ، رحمهم الله، في المسجد الجامع بقرطبة، وهي (٢): [من الطويل]

تذكرت وداً للحبيب كأنه      لـخولة أطلال ببرقة تهمد

وعهدي بعهد كان لي منه ثابت      لا يلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقفت به لا موقفاً برجوعه      ولا آيساً أبكي وأبكي إلى الغد

إلى أن أطل الناس عذلي وأكثروا      يقولون لا تهلك أسى وتجلد

هذا التناص لمعلقة طرفة بن العبد ، يثير الاهتمام لدى المتلقي ، ويدل على قدرة ابن حزم الإبداعية ، ودائماً القديم له الفضل ، ومن هذا المنطلق ربما أراد ابن حزم استغلال هذا الفضل القديم ، ليقدم القديم بشكل جديد ، مما يثير المتلقي أكثر ، ويجذبه أكثر .

(١) ابن حزم : الطوق ، ص: ٨

(٢) ابن حزم : الطوق ، ص: ٦٩

لم يكتف ابن حزم بالتضمين من شعر طرفة بن العبد فقط ، بل ضمن من شعر أبي النواس شطرا ، وذلك في باب (قبح المعصية ) حيث ينهى عن اتباع الهوى ، ربما كان ذلك لشهرة أبي النواس في شعر الزهد ، ولتقوية المعنى عنده وتثبيتته ، وهذا دليل على قدرة ابن حزم الإبداعية وثقافته الواسعة ، وكل ذلك يزين شعره ويجعل المتلقي يقف عند هذه الأبيات وربما يبحث عنها ، فتنبت في ذهنه ، يقول ابن حزم<sup>(١)</sup>:

أقول لنفسي ما مبين كحالك وما الناس إلا هالك وابن هالك  
صن النفس عما عابها وارفض الهوى فإن الهوى مفتاح باب المهالك  
وهذا بيت أبي النواس<sup>(٢)</sup> :

وما الناس إلا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق  
وله تناص مع ابن زريق البغدادي ، في قصيدته المشهورة والتي مطلعها<sup>(٣)</sup>:  
لا تعذليه فإن العذل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه  
فقد ضمن ابن حزم المعاني والوزن والقافية ، فكأنك تسمع قصيدة ابن زريق عندما تقرأ الأبيات التي يقول فيها<sup>(٤)</sup>:

ولي فولى جميل الصبر يتبعه وصرح الدمع ما تخفيه أضلعه  
جسم ملول وقلب آلف فإذا حل الفراق عليه فهو موجه  
لم يستقر به دار ولا وطن ولا تدفأ منه قط مضجعه  
و بهذا يكون التناص الشعري قد أضفى جمالية شعرية في الرسالة من خلال استحضار أبيات شعرية غائبة في النص السردى الحاضر، تعبر عن حالة الشخصيات في رسالة الطوق، و تتجلى الشعرية السردية من التناص في إضفاء هذه الأبيات الشعرية لإيقاع موسيقي في النص، إلى جانب إحداث تأثير في المتلقي.

**اللغة السردية :**

اللغة السردية في رسالة طوق الحمامة كانت لغة شاعرية ، وهي التي اعتمدت على تماثل الوحدات الصوتية ، حيث كان هناك مقاطع صوتية متماثلة تقريبا ، وجرس موسيقي متقارب أو متماثل ، وتماثل في النبر ، والتنغيم المفصل ، والجر

(١) ابن حزم : الطوق ، ص: ١٣٧  
(٢) أبو الفرج الأصبهاني : ملحق الأغاني (أخبار أبي نواس)، تحقيق علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان ص ٤١  
(٣) البتلوني، شاكر ( تصحيح:ابراهيم اليازجي):نفع الأزهار في منتخبات الأشعار، المطبعة الأدبية بيروت سنة ١٨٨٦م، ص ٥  
(٤) ابن حزم : الطوق ، ص: ٨٠

والهمس ، والشدة والرخاوة ، والأصوات التكرارية ، والصفيرية ، يعني أنها لغة ذات إيقاع موسيقي تجعل من الخبر أو النص شاعريا ، فمثلا في باب قبح المعصية يقول في أحد الأخبار : " فهاتان الطبيعتان قطبان في الإنسان، وهما قوتان من قوى الجسد الفعال بهما، ومطرحان من مطارح شعاعات هذين الجوهريين العجبيين الرفيعين العلويين ، ففي كل جسد منهما حظه على قدر مقابلته لهما في تقدير الواحد الصمد، تقدست أسماؤه، حين خلقه وهياه؛ فهما يتقابلان أبداً ويتنازعان دأباً، فإذا غلب العقل النفس ارتدع الانسان وقمع عوارضه المدخولة واستضاء بنور الله وابتغى العدل، وإذا غلبت النفس العقل عميت البصيرة، ولم يضح الفرق بين الحسن والقبح، وعظم الالتباس وتردى في هوة الردى ومهواة الهلكة، وبهذا حسن الأمر والنهي، ووجب الامتثال ، وصح الثواب والعقاب، واستحق الجزاء. والروح واصل بين هاتين الطبيعتين، وموصل ما بينهما، ومحل الالتقاء بهما، وإن الوقوف عند حد الطاعة لمعدوم إلا بطول الرياضة وصحة المعرفة ونفاذ التمييز، ومع ذلك اجتناب التعرض للفتن ومداخلة الناس جملة والجلوس في البيوت، وبالحرى أن تقع السلامة المضمونة أو يكون الرجل حصوراً لا أرب له في النساء ولا جارحة له تعينه عليهن. وقديماً ورد: " من وقى شر لقلقه وقبحه وذبحه فقد وقى شر الدنيا بحذاقيرها "(١) فالجناس الذي ورد في المثال السابق يصنع نغمة لطيفة وجميلة ، تستهوي المتلقي ، وتجعله يرغب أكثر في القراءة أو الاستماع ، والجناس من المعروف عنه أنه يخلق نغماً جميلاً في النثر .

أما تقسيم العبارات وتوازنها فمن شأنه جذب القارئ كذلك، بل يجعله يصغي أكثر ، والتقسيم من أكثر الأشياء التي تجعل اللغة لغة موسيقية شاعرية،( فهاتان الطبيعتان قطبان في الإنسان - هذين الجوهريين العجبيين الرفيعين العلويين - يتقابلان أبداً ويتنازعان دأباً ) هذا التوازن والتقسيم جميل جدا ، خاصة انه جاء بدون تكلف ، مما يجعل القارئ يتلقى هذا التزيين بكل راحة ولطف دون نفور .

كذلك جذب التضاد الذي كان يذكر كثيرا في رسالة طوق الحمامة ؛ لأن الكثير من أبواب طوق الحمامة قائم على التضاد ، والذي يهم هنا أن التضاد جعل اللغة

(١) ابن حزم : الطوق ،ص: ١١٩



شاعرية ، ذات جرس موسيقي جميل ، وإيقاع منغم من شأنه أن يجذب المتلقي بشكل أكبر .

هناك الكثير من الأمثلة التي ينطبق عليها ما ذكر سابقا ، يكتفى بمثال واحد ، لأن الرسالة ذات طبيعة متقاربة لغة وأسلوبا .